ﷺ، فإنه رسول الله ﷺ حق، وما جاء به حق، قال تعالىٰ: ﴿يا أيُّها النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ من رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧٠]. أي: قد جاءكم محمد صلوات الله وسلامه عليه بالهدىٰ ودين الحق والبيان الشافي من الله عز وجل فآمنوا بما جاءكم به واتبعوه يكن خيرًا لكم.

فذكر السبب الموجب للإيمان به، والفائدة من الإيمان به، والمضرة من عدم الإيمان به! فالسبب الموجب هو إخباره بأنه جاءهم بالحق. أي: فمجيئه نفسه حق وما جاء به من الشرع حق، فإن العاقل يعرف أن بقاء الخلق في جهلهم يعمهون، وفي كفرهم يترددون، والرسالة قد انقطعت عنهم، غير لائق بحكمة الله ورحمته، فمن رحمته وحكمته العظيمة نفس إرسال الرسول إليهم ليعرفهم الهدىٰ من الضلال والغي من الرشاد، فمجرد النظر في رسالته ﷺ دليل قاطع علىٰ صحة نبوته.

وكذلك النظر إلىٰ ما جاء به من الشرع العظيم والصراط المستقيم. فإن فيه من الأخبار بالغيوب الماضية والمستقبلة، والخبر عن الله وعن اليوم الآخر، ما لا يعرف إلا بالوحي والرسالة.

وما فيه من الأمر بكل خير وصلاح، ورشد، وعدل، وإحسان، وصدق، وبر، وصلة، وحسن خلق، ومن النهي عن الشر والفساد، والبغي والظلم، وسوء الخلق والكذب والعقوق، مما يقطع به أنه من عند الله.

وكلما ازداد العبد به بصيرة، ازداد إيمانه ويقينه، فهذا السبب الداعي للإيمان وأما الفائدة في الإيمان به:

فأخبر أنه خير لكم، والخير ضد الشر. فالإيمان خير للمؤمنين، في أبدانهم وقلوبهم وأرواحهم، ودنياهم وأخراهم.

وذلك لما يترتب عليه من المصالح والفوائد، فكل ثواب عاجل وآجل، فمن ثمرات الإيمان فالنصر والهدىٰ والعلم، والعمل الصالح، والسرور والأفراح، والجنة وما اشتملت عليه من النعيم كل ذلك مسبب عن الإيمان.

كما أن الشقاء الدنيوي والأخروي من عدم الإيمان أو نقصه. وأما مضرة عدم الإيمان به ﷺ، فيعرف بضد ما يترتب علىٰ الإيمان به. وأن العبد لا يضر إلا نفسه، والله تعالىٰ غني عنه، لا تضره معصية العاصين، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النساء: من الآية ١٧٠] أي:

الجميع خلقه وملكه وتحت تدبيره، وتصريفه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: من الآية ١٧] بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه وأمره فهو العليم بمن يستحق الهداية والغواية، الحكيم في وضع الهداية والغواية في مواضعها(١).

وإن من وسائل الثبات على أمر الله معرفة الحق الذي كان عليه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وفيه ثبات وموعظة النبي محمد ﷺ، وذكر للمؤمنين قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

يقول تعالى: وكل أخبار نقصها عليك من أنباء الرسل المتقدمين من قبلك مع أممهم وكيف جرى لهم وكيف نصر الله حزبه المؤمنين، وخذل أعداءه الكافرين.

وكل هذا مما نثبت به قلبك ليطمئن، ويصبر كما صبر أولو العزم من الرسل – عليهم السلام – فإن النفوس تأنس، بالاقتداء، وتنشط على الأعمال، وتريد المنافسة لغيرها، ويتأيد الحق بشواهده، وكثرة من قام به.

﴿وَجَاءَكَ﴾ في هذه السورة ﴿الْحَقُّ﴾ اليقين، فلا شك

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي – رحمه الله – صـ ٢١٥ – ٢١٦.

فيه بوجه من الوجوه، فالعلم بذلك من العلم بالحق الذي هو أكبر فضائل النفوس[١]. والموعظة والذكرى، ينفع بها أهل الإيمان، فيرتدعون عن الأمور المكروهة، وينتفعون بالأمور المحبوبة. وأما غير المؤمنين فلا ينتفعون بالمواعظ ولا بالتذكير.

وإذا جاء الحق زهق الباطل، وانتهى، قال تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ [الإسراء: ٨١]. فهذا تهديد ووعيد شديد لكفار قريش، فإنه قد جاءهم، من الله الحق الذي لا مرية فيه ولا قبل لهم به، وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان والعلم النافع، وزهق باطلهم أي: اضمحل وهلك. فإن الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾ [الأنبياء: ١٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة، وحول البيت ستون وثلاثون مائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: «**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا. جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**». [رواه البخاري]

فعل النبي ﷺ ذلك: لإذلال الأصنام وعابديها،

(١) تفسير ابن كثير (٢ / ٦٦١-٦١٢) وتفسير السعدي، صـ ٣٩٢.

ولأنها لا تنفع ولا تضر ولا تدفع عن نفسها شيئًا. ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ﴾ أي جاء الإسلام وبطل الكفر ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ مضمحلاً زائلاً: «**وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**»، أي: زال الباطل وهلك لأن الإعادة والإبداء من صفة الحي فعدمهما عبارة عن الهلاك والمعنىٰ: جاء الحق وهلك الباطل. وقيل الباطل الأصنام، وقيل الشيطان. والشيطان من شاط: إذا هلك. أي: لا يخلق الشيطان والصنم أحداً ولا يبعثه فالمنشئ والباعث هو الله وحده لا شريك له[١].

والباطل قد يكون له صولة وجولة وروجان، إذا لم يقابله الحق، فعند مجيء الحق يضمحل الباطل، وينتهي، فلا يبقىٰ له حراك. ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بايات الله وبيناته[٢].

والهداية إلىٰ الحق، وإلىٰ قول الحق هداية الله سبحانه وتعالىٰ. قال عز وجل: ﴿**قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ**﴾ [يونس: من الآية ٣٥]. أي: الله وحده يهدي للحق، بالأدلة والبراهين وبالإلهام والتوفيق، وبالإعانة إلىٰ أقوم طريق[٣].

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٨٢-٨٣) وتحفة الأحوذي (٨ / ٤٨٦).
(٢) تفسير السعدي، ص ٤٦٥. (٣) تفسير السعدي، صـ ٤٦٤.

﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ﴾ [يونس: من الآية ٣٥] الحق أن يتبع يهدي إلىٰ الحق. وأما: الذي لا يهدي ولا يهتدي، بل ولا ينطق من آلهتكم الباطلة، كيف يهدي من كان أعمىٰ وأبكم، ولا بيده شيء. كما قال تعالىٰ عن لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ [مريم: من الآية ٤٢] فكيف يسوي بين الحق والباطل وبين الخالق والمخلوق، وبين الذي يهدي إلىٰ الحق، وبين الذي هو علىٰ الباطل إلا أن يهدي إلىٰ الحق. ﴿ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [يونس: من الآية ٣٥]. فكيف تحكمون بالحكم الباطل: أن مع الله آلهة أخرىٰ.

بعد ظهور الحجة البالغة عليكم، والبراهين الساطعة، أن الذي بيده الهداية وهو الله المستحق للعبادة وحده لا شريك له. ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: من الآية ٣٢]، أي: فمن عبد الله وحده فهو صاحب الحق الخالص. ومن عبد غيره فهو صاحب الضلال الخالص والباطل البحت. قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله، فبين بما هو مستقر في الفطر: إن الذي يهدي إلىٰ الحق أحق

بالاتباع ممن لا يهتدي إلا أن يهديه غيره، فلزم أن يكون الهادي بنفسه هو الكامل - وهو الحق - دون الذي لا يهتدي إلا بغيره(١).

﴿ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد: من الآية ٣] اتبعوا الحق، الذي هو: الصدق واليقين، وما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم، الصادر من ربهم، الذي رباهم بنعمته، ودربهم بلطفه، فربهم تعالىٰ بالحق فاتبعوه. فلما كانت الغاية المقصودة لهم، متعلقة بالحق المنسوب إلىٰ الله الباقي الحق المبين. كانت الوسيلة صالحة باقية، باقيًا ثوابها(٢).

والشفاعة تنفع من شهد بالحق، وكان به من العاملين: قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦] لا أحد يملك الشفاعة، ولا يشفعون إلا بإذنه ولا يشفعون إلا لمن ارتضىٰ، ولهذا قال: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: نطق بلسانه، مقرًا بقلبه، عالمًا بما شهد به، ويشترط أن تكون شهادته بالحق، وهي الشهادة لله بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة والنبوة، وصحة ما جاءوا، من أصول الدين وفروعه، وحقائقه

(١) مجموع الفتاوى (٦ / ٥١).
(٢) تفسير السعدي، ص ٧٨٤.

وشرائعه، فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين، وهؤلاء الناجون من عذاب الله، الحائزون لثوابه[١].

والمؤمنون يقولون الحق، ويتواصون به، وهذا من أبواب النجاة والفوز قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العصر: من الآية ٢]. التواصي: هو أمر الغير بالإيمان والعمل الصالح، وهو قدر زائد علىٰ مجرد فعله. فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح. ولا يلزم أن يكون في أسفل سافلين.

ولم يكتف منهم بمعرفة الحق والصبر عليه، حتىٰ يوصي بعضهم بعضاً به ويرشده إليه، ويخص عليه، بل قد يتوارد علىٰ القلب حتىٰ ينعكس إدراكه كما ينعكس سيره، فيدرك الباطل حقًا والحق باطلاً، والمعروف منكراً والمنكر معروفًا، فينتكس في سيره ويرجع عن سفره، إلىٰ الله والدار الآخرة إلىٰ سفره إلى مستقر النفوس المبطلة التي رضيت بالحياة الدنيا واطمأنت لها وغفلت عن الله وآياته وتركت الاستعداد للقائه.

ولو لم يكن في عقوبة الذنوب إلا هذه العقوبة وحدها لكانت داعية إلىٰ تركها والبعد منها. والله المستعان[٢].

(١) تفسير السعدي، صـ ٧٧١.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، صـ ٨٣، والجواب الكافي صـ ١٣٥-١٣٦.

الحق هو: الإيمان والعمل، ولا يتمان إلا بالصبر عليهما والتواصي بهما، كان حقيقيًا بالإنسان أن ينفق ساعات عمره - بل أنفاسه - فيما ينال به المطالب العالية، ويخلص به من الخسران المبين، (وليس ذلك إلا بالإقبال علىٰ القرآن وتفهمه وتدبره، واستخراج كنوزه وإثارة دفائنه، وصرف العناية إليه والعكوف بالهمة عليه، فإنه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد والموصل لهم إلىٰ سبيل الرشاد[١].

وهذا جزاء الذين يتكبرون علىٰ الحق، ويقولون الباطل والعياذ بالله تعالىٰ: قال عز وجل: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ [الأعراف: من الآية ١٤٦] أي: يتكبرون علىٰ عباد الله وعلىٰ الحق، وعلىٰ من جاء به، فمن كان بهذه الصفة حرمه الله خيرًا كثيرًا وخذله، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق، واستحسن القبيح[٢].

ومن كذب بالحق ورده فإنه يُجزى العذاب والنكال: قال عز وجل: ﴿**الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ**﴾ [الأنعام: من الآية ٩٣] أي العذاب الشديد الذي يهينكم ويذلكم، والجزاء من جنس العمل، فإن هذا

(١) مدارج السالكين (١ / ٦-٧). (٢) تفسير السعدي، صـ ٣٠٣.

العذاب بسبب كذبكم وردكم الحق الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام[١].

وإن الله عز وجل وعد أهل الحق الصادقين، أن ينصرهم وقد ضرب المثل العظيم بالذين خرجوا مع النبي ﷺ إلى بدر: قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٧-٨].

فوعد الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالعير، أو بالنفير، فأحبوا العير لقلة ذات يد المسلمين، ولأنها غير ذات الشوكة، ولكن الله تعالىٰ أحب لهم وأراد أمرًا علىٰ مما أحبوا أراد أن يظفروا بالنفير الذي خرج فيه كبراء المشركين وصناديدهم.

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ فينصر أهله. ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ يستأصل أهل الباطل، ويرى عباده من نصره للحق أمرًا لم يكن يخطر لهم ببال. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ فلا يبالي بهم. وأهل الحق يحمدون الله عز

(١) تفسير السعدي، صـ ٢٦٥. (٢) تفسير السعدي، صـ ٣١٦.

وجل على ما هداهم إليه من الحق والخير، ويمدحون من جاءهم بالحق، فأورثوا الجنة، لما كان من تمسكهم بالحق، والدعوة إليه، فهم في نعيم عظيم: قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف: من الآية ٤٣].

﴿ **لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ** ﴾ أي: حين كانوا يتمتعون بالنعيم الذي أخبرت به الرسل – عليهم الصلاة والسلام – وصار حق يقين لهم، بعد أن كان عليهم يقين لهم، قالوا: لقد تحققنا ورأينا ما وعدتنا به الرسل، وأن جميع ما جاءوا به حق اليقين لا مرية فيه ولا إشكال. ﴿ **تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا** ﴾ أي: كنتم الوارثين لها، وصارت إقطاعًا لكم، إذ كان إقطاع الكفار النار(١).

وبعد هذا علمت أن: الله هو الحق وأنه أمر بالحق، وأرسل الرسل بالحق، وأنزل الكتب بالحق، ونصر الرسل عليهم الصلاة والسلام بالحق لما جاءوا به من الحق. وأنه أدخل المؤمنين الجنة بالحق، وعرفوا الحق حق اليقين فيها

---

(١) نفس المصدر، صـ ٢٨٩ .

فحمدوه عليها. فما علينا إلا أن نعرف الحق ونتبعه ونعمل به، ونقوله في السر والعلن وفي الغضب والرضا، حتى نكون كالذين آمنوا قبلنا. نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لقول الحق والقيام به(١).

فقال تعالىٰ: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١٥].

وهذا الحق لا بد أن يكون مقيداً بالشرع، حتىٰ يجب اعتقاده قال: ابن تيمية - رحمه الله -: ثم بعد هذا من كان قد تبين له معنىٰ من جهة العقل، أنه لازم للحق لم يدفعه عن عقله، فلازم الحق حق، لكن ذلك المعنىٰ لا بد أن يدل الشرع عليه فيبينه بالألفاظ الشرعية وإن قدر أن الشرع لم يدل عليه لم يكن مما يجب علىٰ الناس اعتقاده، وحينئذ فليس لأحد أن يدعو الناس إليه، وإن قدر أنه في نفسه حق(٢).

والغضب نقيض الرضا. وقد غضب عليه غضباً

(١) مدارج السالكين (٣ / ٥٢٢-٥٢٣).
(٢) مجموع الفتاوى (١٧ / ١٧٥) ط ابن حزم.

ومغضبة . . وغضب له : غضب علىٰ غيره من أجله قال ابن عرفة : الغضب من المخلوقين، شيء يداخل قلوبهم، ومنه محمود ومذموم، فالمذموم ما كان في غير الحق، والمحمود ما كان في جانب الدين والحق، وأما غضب الله فهو إنكاره علىٰ من عصاه، فيها فيه[١].

وقد جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فسأله : أن يوصيه وصية جامعة للخير مانعة للشر فنهاه عليه الصلاة والسلام : عن الغضب . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أن رجلا قال للنبي ﷺ : أوصني قال : «**لا تغضب**» فردد مراراً، فقال : «**لا تغضب**». [رواه البخاري][٢].

في هذا : أنه ردد السؤال مراراً، فرد عليه النبي ﷺ الجواب مراراً. فدل علىٰ : أن الغضب جماع الشر. وأن التحرز منه جماع الخير.

قال جعفر بن محمد : الغضب مفتاح كل شر. وقيل لابن المبارك : أجمع لنا حسن الخلق في كلمة؟

قال : ترك الغضب . وكذا فسره أحمد وإسحاق بن رهويه .

---

(١) لسان العرب (١ / ٦٤٨). (٢) الفتح (١٠ / ٥١٩).

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تغضب**»: يحتمل أمرين:

١- أن يكون مراده الأسباب التي توجب حسن الخلق.

٢- أن يكون المراد: لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك بل جاهد نفسك علىٰ ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به، فإن الغضب إذا ملك شيئًا من بني آدم كالأمر والنهي له. فإذا لم يتمثل الإنسان ما يأمره به غضبه، وجاهد نفسه علىٰ ذلك، اندفع عنه شر الغضب .. وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار القرآن يقول عز وجل: ﴿**وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾ [الشورىٰ: من الآية ٣٧]. ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾ [آل عمران: من الآية ١٣٤].

وكان النبي ﷺ يمدح من ملك نفسه عند الغضب، ويأمره بتعاطي الأسباب التي تدفعه عنه.

عن سليمان بن صرد، قال: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهم يسب صاحبه مغضبًا قد أحمر وجهه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها، لذهب عنه ما يجد**»، لو قال: «**أعوذ بالله من الشيطان**

الرجيم» فقالوا للرجل: لا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال: «**إني لست بمجنون**» [رواه البخاري][١].

وخرَّج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إذا غضب أحدكم فليسكت، قالها ثلاثًا**». [رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد][٢].

وهذا أيضاً دواء عظيم للغضب، لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه من السباب وغيره مما يعظم ضرره، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنه.

قال مورق العجلي: ما امتلأت غضباً قط ولا تكلمت في غضب قط بما أندم عليه إذا رضيت.

وعن معاذ بن أنس الجهني عن النبي ﷺ قال: «**من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء**». [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة][٣].

---

(١) الفتح (١٠ / ٤٦٥).

(٢) حم (١ / ٢٣٩١) وخب برقم (٢٤٥) وحسنه العلامة الألباني الصحيحة (٣ / ٣٦٤).

(٣) د برقم (٤٧٧٧) وت (٢٠٢١) وحم (٣ / ٤٤٠). وحسنه الشيخ سليم الهلالي.

وقال الحسن البصري – رحمه الله –: أربع من كن فيه عصمة الله من الشيطان وحرمه على النار: من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب.

والواجب على المؤمن أن تكون شهوته مقصورة على طلب ما أباحه الله، وربما تناولها بنية صالحة، فأثيب عليها. وأن يكون غضبه دفعًا للأذى في الدين له أو لغيره وانتقاماً ممن عصى الله ورسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ**﴾ [التوبة: من الآية ١٤ –١٥].

وهذه كانت حال النبي ﷺ فإنه كان لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء ولم يضرب بيده خادمًا ولا امرأة إلا أن يجاهد في سبيل الله وكان خلقه القرآن ﷺ(١).

وأعلم أن سرعة الغضب من شيم الحمقى، كما أن مجانبته من ذي العقلاء، والغضب بذر الندم، فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقدر على إصلاح ما أفسده به بعد الغضب(٢).

---

(١) إيقاظ الهمم من جامع العلوم الحكم (٢٢ – ٢٢٧) مع شيء من الاختصار.

(٢) روضة العقلاء، صـ ١٣٩ .

قال ابن التين: جمع النبي ﷺ في قوله: «لا تغضب» خيري الدنيا والآخرة، لأن الغضب يؤول إلىٰ التقاطع، ومنع الرفق، وربما آل إلىٰ أن يؤذي المغضوب عليه، فينتقص ذلك من الدين. اهـ[1].

والرضا بالشيء قبوله، فكلمة الحق: هي التوسط، فلا يرضىٰ بالباطل، كما بين الله سبحانه وتعالىٰ أن الذين أقبلوا علىٰ الدنيا وردوا الآخرة، هم من الخاسرين لأنهم رضوا بالباطل: قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ**﴾ [يونس: ٧] يخبر تعالىٰ عن حال الأشقياء: وأن من صفاتهم أنهم: رضوا بالحياة الدنيا عن الآخرة وكذلك الذين طبع الله علىٰ قلوبهم بسبب أنهم رضوا بالنفاق والعياذ بالله: قال تعالىٰ: ﴿**رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ**﴾ [التوبة: ٨٧]. رضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء ومع الخوالف، بعد خروج الجيش، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس[2]. فبين سبحانه وتعالىٰ ذم المنافقين. وفي الآية التي بعدها بين الثناء علىٰ المؤمنين. فهذا هو الرضا المذموم.

(١) الفتح لابن حجر (١٠ / ٥٣٦). (٢) تفسير ابن كثير (٤ / ١٦٩٤).

وأما الرضىٰ: الممدوح: فهو: رضا المؤمن بأمر الله، والرضا بالدين، وبالنبي ﷺ. وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالىٰ في (الرضا بالقضاء).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ -: ولما كان أكثر الناس يتكلم بالحق في رضاه، فإذا غضب أخرجه غضبه إلىٰ الباطل وقد يدخله أيضاً رضاه في الباطل: سأل الله عز وجل أن يوفقه لكلمة الحق في الغضب والرضا، ولهذا قال بعض السلف: لا تكن ممن إذا رضي أدله رضاه في الباطل، وإذا غضب أخرجه غضبه من الحق[١].

قال ابن رجب - رحمه الله -: وهذا عزيز جداً: وهو أن الإنسان لا يقول سوىٰ الحق سواء غضب أو رضي، فإن أكثر الناس إذا غضب لا يتوقف فيما يقول. وذكر حديث عمران بن حصين في المرأة التي لعنت الناقة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**خذوا متاعها ودعوها**». [رواه مسلم][٢].

وحديث الرجل الذي لعن الناضح فقال عليه الصلاة والسلام: «**أنزل عنه، لا يصحبنا ملعون، لا تدعو على أنفسكم ولا علىٰ أولادكم، ولا تدعو علىٰ أموالكم، لا**

(١) إغاثة اللهفان (١ / ٢٩).
(٢) م (٢٥٩٥).

توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم » [رواه مسلم][(١)].

فهذا كله يدل علىٰ أن دعاء الغضبان قد يجاب إذا صادف ساعة إجابة، وأنه ينهى عن الدعاء علىٰ نفسه وأهله وماله في الغضب[(٢)].

« كلمة الحق في الغضب والرضىٰ » أي: في حالتي رضا الخلق مني وغضبهم عليَّ فيما أقوله، فلا أداهن ولا أنافق أو في حالتي رضاي وغضبي، بحيث لا تلجئني شدة الغضب إلىٰ النطق بخلاف الحق ككثير من الناس إذا اشتد غضبه أخرجه من الحق إلىٰ الباطل[(٣)].

في كلمة الحق فوائد:

١- عدم النفاق والمداهنة.

٢- طلب التوفيق من الله أن يقول الحق.

٣- أن الغضب لغير الله باطل لا يجوز والغضب لله كما جاء في الشرع جائز بل واجب.

---

(١) م برقم (٣٠٠٩).

(٢) إيقاظ الهمم جامع العلوم والحكم ص ٢٢٩ .

(٣) فيض القدير (٢ / ١٤٨).

٤- أن الرضا بالحق حق، والرضا بالباطل حرام.

٥- الكلام بالحق يثاب صاحبه عليه، والكلام بالباطل يأثم صاحبه به.

٦- من أجل الحق خلق الله السماوات والأرض.

(وأسألك القصد في الفقر والغنى): القصد هو: العدل. القصد في الشيء خلاف الإفراد وهو: ما بين الإسراف والتقتير. والقصد في المعيشة: أن لا يسرف ولا يقتر. يقال: فلان مقتصد في النفقة وقد اقتصد[1].

والقصد الوسط المعتدل. جاء من حديث جابر بن سمرة عن مسلم. أن النبي ﷺ «كانت خطبته قصداً» أي لا طويلة ولا قصيرة. وهو التوسط بين الإسراف وبين التقتير وهو: وهنا استعمل القصد في النفقة. وذا معدود من جوامع الكلم. أن تكون النفقة على قدر الحاجة. وقيل: أن الغني يبسط اليد ويطفئ النفس والفقر يكاد يكون كفراً. فالتوسط هو المحبوب المطلوب[2]. والتوسط مزية عظيمة من مزايا هذه الأمة في كل الأمور.

الفقر والفقر: ضد لغني. وقدر ذلك أن يكون له ما

(١) لسان العرب (٣/ ٣٥٣-٣٥٤). (٢) فيض القدير (٢ / ١٨٤).

يكفي عياله. ورجل فقير من المال وقد فقر، فهو فقيرٌ والجمع فقراء. والفقر: الحاجة، وفعله الافتقار(١).

والفقر: العوز والحاجة.

قال الراغب: الفقر يستعمل على أربعة أوجه:

١- وجود الحاجة الضرورية: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [فاطر: ١٥].

٢- عدم المقتنيات: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا**﴾ [البقرة: من الآية ٢٧٣].

٣- فقر النفوس. وهو الشره: وهو المقابل بقوله عليه الصلاة والسلام: «**الغنى غنى النفس**» [رواه البخاري].

٤- الفقر إلى الله. ﴿**لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ [القصص: من الآية ٢٤](٢).

الغنى: مقصور: ضد الفقر.

وقيل خير الصدقة ما أغنيت به من أعطيته عن المسألة ... أي في وقته ويومه، وأما أخذه على الإطلاق ففيه، مشقة للعجز عن ذلك(٣).

---

(١) اللسان (٥ / ٦٠).
(٢) المفردات، صـ ٣٨٣.
(٣) اللسان (١٥ / ١٣٦).

وقيل غنىٰ الرجل يغنىٰ، فهو غني إذا صار موسعًا مستغنيًا لكثرة قنياته من الأموال بحسب ضروب الناس.

والفقير أشد حاجة من المسكين، لأن الله بدأ به، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئًا، أو يجد بعض كفايته دون نصفها[١].

قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٧]. وقال عز وجل: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: من الآية ٣١].

فدين الله عز وجل بين الغالي فيه والجافي عنه. وخير الناس النمط الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلوا المعتدين، وقد جعل الله هذه الأمة وسطًا، وهي الخيار العدل، لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط. والآفات إنما تتطرق إلىٰ الأطراف، والأوساط محمية بأطرافها. فخيار الأمور أوساطها. قال الشاعر:

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت
بها الحوادث حتىٰ أصبحت طرفا[٢]

---

(١) تفسير السعدي، ص ٣٤١.
(٢) إغاثة اللهفان (١ / ١٨٢).

وأما الفرق بين الاقتصاد والشح: أن الاقتصاد خلق محمود يتولد من خلقين: عدل وحكمة، فبالعدل يعتدل في المنع والبذل. وبالحكمة يضع كل واحد منهما موضعه الذي يليق به، فيتولد من بينهما الاقتصاد، وهو وسط بين طرفين مذمومين. كما قال تعالى: ﴿ **وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا** ﴾ [الإسراء: ٢٩] وقال تعالى: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا** ﴾ [الأعراف: من الآية ٣١].

وأما الشح فهو خلق ذميم يتولد من سوء الظن وضعف النفس، ويمده وعد الشيطان حتىٰ يصدر هلعاً، والهلع شدة الحرص علىٰ الشيء والشره به، فيتولد عنه المنع لبذله، والجزع عند فقده، كما قال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا** ﴾ [المعارج: ٢١].

والفرق بين الاقتصاد والتقصير: أن الاقتصاد هو: التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وله طرفان هما ضدان له: تقصير ومجاوزة. فالمقتصد قد أخذ بالوسط وبَعُد عن الطرفين. قال تعالىٰ: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** ﴾ [الفرقان: ٦٧].

والدين كله بين هذين الطرفين، بل الإسلام قصد بين

الملل، والسنة قصد بين البدع ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وكذلك الاجتهاد هو بذل الجهد في موافقة الأمر، والغلو مجاوزته وتعديه. وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان. فأما إلىٰ غلو ومجاوزة، وإما إلىٰ تفريط وتقصر وهما آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشىٰ خلف رسول الله ﷺ، وترك أقوال الناس، وآراءهم لما جاء به، لا من ترك به لأقوالهم وآرائهم.

وهذا المرضان الخطران قد استوليا علىٰ أكثر بني آدم، ولهذا حذر السلف منهما أشد التحذير، وخوفوا من بلىٰ بأحدهما من بلىٰ بالهلاك. وقد يجتمعان في الشخص الواحد كما هو حال أكثر الخلق، يكون مقصراً مفرطًا في بعض دينه غالبًا متجاوز في بعضه. والمهدي من هداه الله[1].

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ -: ولما كان الفقر والغنىٰ بليتين ومحنتين، يبتلي الله بهما عباده، ففي الغني يبسط يده وفي الفقر يقبضها سأل الله عز وجل القصد في الحالتين، وهو التوسط الذي ليس معه إسراف ولا تقتير.

(١) الروح صـ ٢٨٩ و ٣١٣، والضوء المنير (٤ / ٤١٢-٤١٣).

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: من الآية ٢١٩]. والمراد بالعفو الزائد على قدر الحاجة التي لا بد منها على أصح التفسيرات وهو مذهب الجمهور.

ومنه قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ عَفَوا ﴾ [الأعراف: من الآية ٩٥]. أي: كثير أو كثرت أموالهم وأولادهم. وقال بعض العلماء: العفو: نقيض الجهد، وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع .. وبقية الأقوال ضعيفة.

فنهاه الله عن البخل بقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء: ٢٩] ونهاه عن الإسراف فقال: ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾. فيستعين التوسط بين الأمرين كما بينه سبحانه في قوله: ﴿ لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: من الآية ٦٧]. فيجب على المنفق أن يفرق بين الجود والتبذير وبين البخل والاقتصاد، فالجود غير التبذير. والاقتصاد: غير البخل. فالمنع في محل الإعطاء مذموم. وقد نهى الله نبيه ﷺ عن ذلك فقال: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ والإعطاء في محل المنع مذموم، أيضًا وقد نهى الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾.

قال الشاعر:

لا تمدحن ابن عباد وإن هطلت
يداه كالمزن حتىٰ تخجل الديما
فإنها فلتات من وساوسه
يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرمًا

وقد بين تعالىٰ في مواضع آخر أن الإنفاق المحمود لا يكون كذلك، إلا إذا كان مصرفه الذي صرف فيه مما يرضي الله، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: من الآية ٢١٥]. ووضح أن الإنفاق فيما لا يرضي الله حسرة علىٰ صاحبه، في قوله تعالىٰ: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: من الآية ٣٦]. فإذا قيل: هذا الذي قررتم يقتضي أن الانفاق المحمود هو إنفاق ما زاد علىٰ الحاجة الضرورية، مع أن الله تعالىٰ أثنىٰ علىٰ قوم بالإنفاق وهم في حاجة إلىٰ ما انفقوا، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: من الآية ٩].

فالظاهر في الجواب – والله تعالىٰ أعلم –: هو ما ذكره بعض العلماء من أن لكل مقام مقالاً، ففي بعض الأحوال، يكون الإيثار ممنوعًا. وذلك كما إذا كانت علىٰ المنفق نفقات واجبة، كنفقة الزوجات ونحوها. فتبرع بالإنفاق في

غير واجب وترك الفرض لقوله عليه الصلاة والسلام: «**وابدأ بمن تعول**» [رواه أحمد والنسائي][١].

وكان يكون لا صبر عنده عن سؤال الناس فينفق ماله، ويرجع إلى النساء يسألهم مالهم، فلا يجوز له ذلك، والإيثار فيما إذا كان لم يضيع نفقة واجبة وكان واثقًا من نفسه بالصبر والتعفف وعدم السؤال[٢].

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله تعالىٰ -:

مسألة:

هذه الآية الكريمة التي هي قوله تعالىٰ: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٧] الآية، والآيات التي ذكرنها معها، قد بينت أحد ركني ما يسمىٰ الآن بالاقتصاد وإيضاح ذلك أنه لا خلاف بين العقلاء أن جميع مسائل الاقتصاد علىٰ كثرتها واختلاف أنواعها راجعة بالتقسيم الأول إلىٰ أصلين، لا ثالث لهما:

الأول منهما: اكتساب المال.

والثاني: صرفه في مصارفه. وبه تعلم أن الاقتصاد

---

(١) حم (٣ / ٣٣٠)، وت برقم (٢٣٤٣).

(٢) أضواء البيان للشنقيطي - رحمه الله - (١ / ٣٧-٣٨).

عمل مزدوج، ولا فائدة في واحد من الأصلين المذكورين إلا بوجود الآخر، فلو كان الإنسان أحسن الناس نظراً في أوجه اكتساب المال، إلا أنه أخرق جاهل بأوجه صرفه، فإن جميع ما حصل من المال يضيع عليه بدون فائدة، وكذلك إذا كان الإنسان أحسن الناس نظراً في صرف المال في مصارفه المنتجة إلا أنه أخرق جاهل بأوجه اكتسابه، فإنه لا ينفعه حسن نظره في الصرف مع أنه لم يقدر علىٰ تحصيل شيء يصرفه، والآيات المذكورة أرشدت الناس ونبهتهم علىٰ الاقتصاد في الصرف.

وقد دلت الآيات المذكورة علىٰ صرف المال في مصارفه. وهذه آيات تدل وترشد إلىٰ اكتساب المال - فتح الله الأبواب إلىٰ اكتساب المال بالأوجه اللائقة، كالتجارة وغيرها، كقوله تعالىٰ: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ [البقرة: من الآية ١٩٨] وقوله تعالىٰ: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة: من الآية ١٠] وقوله تعالىٰ: ﴿**إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ**﴾ [النساء: من الآية ٢٩].

فإذا علمت مصرف المال، واكتسابه، فاعلم أن الأصلين، لا بد لهما من أمرين ضرورين:

١- معرفة حكم الله فيه، لأن الله جل وعلا لم يبح اكتساب المال بجميع الطرق التي يكتسب بها المال، بل أباح بعض الطرق، وحرم بعضها كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: من الآية ٢٧٥]. ولم يبح الله جل وعلا صرف المال في كل شيء، بل أباح بعض الصرف وحرم بعضه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال: من الآية ٣٦]. فمعرفة حكم الله في اكتساب المال وفي صرفه في مصارفه أمر ضروري لا بد منه، لأن من لم يعلم ذلك قد يكتسب المال من وجه حرام، والمال المكتسب، من وجه حرام، لا خير فيه البتة، وقد يصرف في وجه حرام، وصرفه في ذلك حسرة علىٰ صاحبه.

٢- معرفة الطريقة الكفيلة باكتساب المال، فقد يعلم الإنسان مثلاً أن التجارة في النوع الفلاني مباحًا شرعًا، ولكنه لا يعلم أوجه التصرف بالمصلحة الكفيلة بتحصيل المال، من ذلك الوجه الشرعي، وكم من متصرف يريد الربح. وكذلك قد يعلم الإنسان أن الصرف في الشيء الفلاني مباح، وفيه مصلحة، ولكنه لا يهتدي إلىٰ معرفة الصرف المذكور، كما هو مشاهد في المشاريع الكثيرة النفع

أن صرف فيها المال بالحكمة والمصلحة، فإن جواز الصرف فيها معلوم، وإيقاع الصرف على وجه المصلحة لا يعلمه كل الناس.

وبهذا تعلم أن أصول الاقتصاد الأربعة الكبار:

١- معرفة حكم الله في الوجه الذي يكتسب به المال.

٢- حسن النظر في اكتساب المال.

٣- معرفة حكم الله في الأوجه التي يصرف فيها المال.

٤- حسن النظر في أوجه الصرف، واجتناب ما لا يفيد منها.

فمن جمع المال بالطرق التي لم يبيحها الله جل جلاله فلا خير في ماله، ولا بركة، كما قال تعالى: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾ [البقرة: من الآية ٢٧٦]. وقال تعالى: ﴿**قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ**﴾ [المائدة: ١٠٠].

ولا شك أنه يلزم المسلمين في أقطار الدنيا التعاون على اقتصاد يجيزه خالق السموات والأرض، على لسان رسوله ﷺ، ويكون كفيلاً بمعرفة طرق تحصيل المال بالأوجه الشرعية، وصرفه في مصارفه المنتجة الجائزة شرعًا، لأن الاقتصاد الموجود الآن في أقطار الدنيا لا يبيحه الشرع الكريم، لأن الذين نظموا طرقه ليسوا بمسلمين، فمعاملات

البنوك والشركات لا تجد شيئًا منها يجوز شرعًا، لأنها إما مشتملة علىٰ زيادات ربوية، أو علىٰ غرر، لا تجوز معه المعاملة كأنواع التأمين المتعارفة عند الشركات اليوم في أقطار الدنيا، فإنك لا تكاد تجد شيئًا منها سالمًا من الغرر، وتحريم بيع الغرر ثابت عن النبي ﷺ، ومن المعلوم أن من يدعي إباحة أنواع التأمين المعروفة عند الشركات، من المعاصرين أنه مخطئ في ذلك، ولأنه لا دليل معه بل الأدلة الصحيحة علىٰ خلاف ما يقول، والعلم عند الله تعالىٰ[١].

وفي هذه الفقرة فوائد:

١- أن القصد: توسط وعدل، لا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء، فالعدل خير كله.

٢- أن الإنسان ينفق بعدل، لا يبذر، ولا يبخل.

٣- لا يعطي ماله ثم يذهب يطلب من الناس.

٤- لا يبخل حتىٰ يأكل التراث أكلاً لما.

٥- أن يعرف من أين أخذ ماله، من حلال أم من حرام.

٦- من أنفق فإن الله يعوضه ولو بقليل. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

---

(١) أضواء البيان (٦ / ٧٧-٧٩).

٧- عدم الإنفاق خسارة في الدنيا والآخرة.

٨- التبذير حرام، لأن المبذرين إخوان الشياطين.

٩- أن القوام صفة عظيمة مدح الله بها عباده الأبرار.

١٠- أن الإنفاق من الحرام حرام، فلا بد من الحلال.

١١- أن من أنفق لا بد أن يكون له مال، وماله إما من زراعة وتجارة أو غير ذلك، فيدخل فيها الاقتصاد.

١٢- أن الإنسان يكون عدل في كل أموره.

١٣- أن يطلب من الله عز وجل أن يوفقه: إلى التوسط والعدل.

قال عليه الصلاة والسلام: «**وأسألك نعيماً لا ينفذ**».

النعيم والنعماء والنعمىٰ والنعمة، كله: الخفض والدعة والمال. يني في هذا الموضع حجج الله الدالة .. وجمع النعمة نعم وأنعم(١).

والنعيم: هو النعمة الكثيرة، قال تعالىٰ: ﴿**فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ [الحج: من الآية ٥٦].

وقال: ﴿**جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ [القلم: من الآية ٣٤]. وتنعم: تناول ما فيه النعمة وطيب العيش(٢).

(١) اللسان (١٢ / ٥٧٩). المفردات للراغب الأصفهاني، صـ ٥٠١.

(٢) تفسير ابن كثير (١٤ / ٤٤٩). ط وروح المعاني (١٥ / ٥٤٥).

والنعيم: هو الأمن والصحة. اللذات من النعيم والغذاء. وقيل شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم. وقيل النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، والفراغ، وقيل النبي ﷺ أنعم به علىٰ العالم فاستنقذهم به من الضلالة(١).

هذا نعيم في الدنيا، وإن نعيم الإيمان والقرآن، والدعاء، والمناجاة، لهو أعظم نعيم الدنيا ليس نعيم الأكل والشرب، والملذات، إنما نعيم في القلب في الدنيا نعيم نور الإيمان والعمل الصالح، وهو الذي قال عنه بعض العلماء: من لم يدخل جنة الدنيا لم يدخل جنة الآخرة. ونعيم الآخرة عظيم وعظيم، وقد وصفه الله عز وجل في كثير من الآيات قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ**﴾ [الانفطار: ١٣]. أي يوم القيامة في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عميم. والنعيم اسم جامع لنعيم القلب والروح والبدن. وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿**تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ**﴾ [المطففين: ٢٤].

أي: تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم: أي صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة، مما هم

(١) تفسير ابن كثير (١٤ / ٤٤٩). ط وروح المعاني (١٥ / ٥٤٥).

فيه من النعيم العظيم. ونظارة ورونقًا، فإن توالي اللذة والسرور، يكسب الوجه نورًا وحسنًا وبهجة(١).

«**وأسألك نعيمًا لا ينفذ**» أي: لا ينقضي وذلك ليس إلا نعيم الآخرة.

والله سبحانه وتعالىٰ يهدي الذين آمنوا إلىٰ الصراط المستقيم في الدنيا، وفي دار الجزاء إلىٰ الصراط الموصل إلىٰ جنات النعيم، ولهذا قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿**تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ [يونس: من الآية ٩].

فهي جارية علىٰ الدوام، وأضافها الله إلىٰ النعيم لاشتمالها علىٰ النعيم التام، ونعيم القلب بالفرح والسرور والبهجة والحبور، ورؤية الرحمن سبحانه وسماع كلامه، والاغتباط برضاه وقربه ولقاء الأحبة والإخوان وسماع الأصوات المطربات والنغمات المشجيات. ونعيم البدن بأنواع المآكل والمشارب والمناكح، ونحو ذلك، مما لا تعلمه نفس ولا خطر ببال(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من**

(١) تفسير ابن كثير (١٤ / ٢٨٨) وتفسير السعدي، ص ٩١٦.

(٢) تفسير السعدي، صـ ٣٥٨.

يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ولا تبلى ثيابه، ولا يفني شبابه». [رواه مسلم].

«**ينعم ولا يبأس**»: أي لا يصيبكم بأس، وهو: شدة الحال. والبأس، والبؤس والبأساء والبؤساء بمعنىٰ. وينعم، وتنعم: أي يدوم لكم النعيم(١).

ويقول سبحانه وتعالىٰ، عمن سابق إلىٰ الأعمال الصالحة في الدنيا، أنهم سابقون في الآخرة: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ [الواقعة: ١٠-١٢]. أي: السابقون في الدنيا إلىٰ الخيرات، هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات. أولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله تعالىٰ، في جنات النعيم، في أعلىٰ عليين، في المنازل العاليات، التي لا منزلة فوقها(٢).

وجمع الله لأهل النعيم نعيمين كما قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿**فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ**﴾ [الطور: من الآية ١٨]. جمع لهم بين النعيمين: نعيم القلب بالتفكه، ونعيم البدن بالأكل والشرب والنكاح، ووقاهم عذاب الجحيم. فوقاهم مما يكرهون، وأعطاهم ما يحبون جزاء وفاقًا، لأنهم تركوا ما

(١) شرح النووي (١٨ / ١٧٢).
(٢) تفسير السعدي، صـ ٨٣٣.

يكره وأتوا بما يحب فكان جزاؤهم مطابقًا لأعمالهم[١].

وأن من آمن وعمل الصالحات له جنات النعيم: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨]. أي يتنعمون فيها بأنواع الملاذ والمسار.

من فوائد هذه الفقرة:

١- يطلب من الله عز وجل النعيم.

٢- النعيم، فيه نعم كثيرة لم تراها عين، ولم تخطر على قلب، ولم تسمعها أذن.

٣- أن النعيم جملة الله عز وجل للمتقين الأبرار.

٤- وجعل النعيم لأهل الاستقامة والسبق في الخيرات.

٥- نعيم في الجنة لا يفنى ولا ينقطع، فهو باق بقاء دائمًا.

٦- أن من كان في النعيم لا يبأس، ولا يسأم في تنعم وراحة.

٧- أن من أنعم الله عليهم بالجنة فهم في جوار الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من أهل النعيم.

٨- أن في هذا السؤال من النبي ﷺ. بيان أن الإنسان يسابق ويسارع إلى مغفرة الله وجنته ورضوانه. حتى

(١) التبيان في أقسام القرآن صـ ٢٦٤ - ٢٧٠.

يكون من أهل هذا النعيم. وأسأل الله الكريم الرحيم أن يرزقنا نعيماً لا ينفد.

قال عليه الصلاة والسلام: «**وأسألك قرة عين لا تنقطع**».

قر عينه: أي سُرَّت. قال: ﴿**كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا**﴾ وقيل لمن يسر به قرت عين قال: ﴿**قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ**﴾ وقوله: ﴿**هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**﴾.

أصله: من القر، أي: البرد.

فقرت عينه: قيل معناه بردت فصحت. وقيل: بل لأن السرور دمعة باردة، قارة، وللحزن دمعة حارة .. وقيل هو: من القرار.

والمعنىٰ أعطاه الله ما تسكن به عينه فلا يطمح إلىٰ غيره[1].

قرة عين لا تنقطع: بل تستمر ما بقيت الدنيا وهي كل ما يتلذذ به الإنسان الكامل – في الأمور الطيبة – وقيل، أراد قرة عينه أي بدوام ذكره، وكمال محبته والأنس به. قال بعضهم: من قرت عينه بالله قرت به كل عين.

وقيل بالمحافظة علىٰ الصلاة، لقوله ﷺ: «**وجعلت قرة**

(١) المفردات للراغب، ص ٣٩٩.

عيني في الصلاة».[١] [رواه النسائي وأحمد من حديث أنس] .

إن المصلي إذا دخل في الصلاة أقبل على الله تعالى وقرب منه، وهو حاضر القلب، .. فإذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطًا وراحة وروحًا، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها، لأنها قرة عينه، ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها، فيستريح بها، لا منها، فالمحبون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا كمال قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ: «**يا بلال أرحنا بالصلاة**» [رواه أبو داود وأحمد والطبراني][٢]. ولم يقل أرحنا منها. وقال ﷺ: «**جعلت قرة عيني في الصلاة**»، فمن جعلت قرة عينه في الصلاة، كيف تقر عينه بدونها،

(١) ن (٧ / ٦١) وفي الكبرى برقم (٨٨٨٧). وحم (٣ / ١٢٨) وأبو يعلي (٣٤٨٢) والعقيلي في الضعفاء (٢ / ١٦٠)، وابن سعد (١ / ٢٩٨) والمروزي في الصلاة (٣٢١). طلبس (٥٢٠٣) ابن حبان (٣ / ١٣٥) هق س ك (٧/ ٨٧) (والضياء المختارة من حديث أنس وعبد الرزاق (٢٨٣)، عن عائشة رضي الله عنها وطلبك (٢٠ / ٤٢٠) عن المغيرة رضي الله عنه والحديث صحيح قال العلامة الألباني – رحمه الله –: حسن صحيح ومن طريق أخرى صحيح انظر صحيح النسائي برقم (٣٦٨٠) و (٣٦٨١).

(٢) د (٤٩٨٥) وحم (٥ / ٣٦٤) وطلبك (٦٢١٥) وعلل الدارقطني (٤ / ١٢٠) وتاريخ بغداد (١٠ / ٢٤٢) والحديث حسن صحيح.

وكيف يطيق الصبر عنها؟ فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي قرة عينه في الصلاة، هي التي تصعد ولها نور وبرهان، حتىٰ يستقبل بها الرحمن عز وجل فتقول: حفظك الله تعالىٰ كما حفظتني، وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنها تلف كما يلف الثوب الخلق، ويضرب بها وجه صاحبها وتقول: ضيعك الله كما ضيعتني[١].

وكان النبي ﷺ: قد جعل الله تعالىٰ قرة عينه ونعيمه وسروره وروحه، في الصلاة، وكان ﷺ يقول: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**». ومع هذا لم يكن يشغله ما هو فيه من ذلك عن مراعاة أحوال المأمومين وغيرهم مع كمال اقباله وقربه من الله تعالىٰ وحضور قلبه بين يديه واجتماعه عليه[٢].

وقال أبو عبد الله المروزي - رحمه الله تعالىٰ -: ولو لم يستدل المؤمن علىٰ أن الصلاة أحب الأعمال إلىٰ الله إلا بما ألزم قلب حبيبه المصطفىٰ محمد ﷺ من حب الصلاة، وجعل قرة عينه فيها دون سائر الأعمال كلها، وإن كان ﷺ محبًا لجميع الطاعات، ولكنه خص الصلاة، فأخبر أن قرة عينه جعل في الصلاة لربه لكفاه بذلك دليلاً.

(١) الوابل الطيب، صـ٥٨ - ٥٩. (٢) زاد المعاد (١ / ٢٥٦).

وذكر حديث أنس بسنده[١].

وفي هذا الحديث: إشارة إلىٰ وفائه، ﷺ بأصلي الدين، وهما التعظيم لأمر الله والشفقة، علىٰ خلق الله وهما كمالا قوتيه النظرية والعملية، فإن كمال الأولىٰ بمعرفة الله والتعظيم دليل عليها لأنه لا يتحقق بدونها، والصلاة لكونها مناجاة الله تعالىٰ علىٰ ما قاله ﷺ يناجي ربه، نتيجة التعظيم علىٰ ما يلوح من أركانها ووظائفها، وكمال الثانية: في الشفقة وحسن المعاملة مع الخلق وقوله: «**قرة عيني في الصلاة**»، إشارة إلىٰ أن كمال القوة النظرية أهم عنده وأشرف في نفس الأمر وأما تأخيره فللتدرج التعليمي من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ وقدم الطيب علىٰ النساء لتقدم حظ النفس علىٰ حظ البدن في الشرف».

وقال الموفق عبد اللطيف البغدادي: لما كانت الصلاة جامعة لفضائل الدنيا والآخرة، خصها بزيادة صفة وقدم الطيب لإصلاحه النفس، وثنىٰ بالنساء لإماطة أذىٰ النفس بهن وثلث بالصلاة لأنها تحصل حينئذ صافية عن الشوائب خالصة عن الشواغل[٢].

---

(١) تعظيم قدر الصلاة برقم (٣٢١-٣٢٣).

(٢) المجتبى شرح النسائي (٧/ ٦٢-٦٥).

وقال السندي في تعليقه على النسائي: فيه إشارة إلى أن تلك المحبة غير ما نعقله عن كمال المناجاة مع الرب تبارك وتعالى بل هو مع تلك المحبة منقطع إليه تعالى حتى أنه بمناجاته تقر عيناه وليس له قريرة العين فيما سواه فمحبته الحقيقية ليست إلا لخالقه تبارك وتعالى[١].

«**وأسألك قرة عين لا تنقطع**»: أي: بكثرة النسل المستمر بعدي، كما قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ [الفرقان: من الآية ٧٤]. أي: أن الإنسان إذا بورك له في ماله وولده قرت عليه بأهله وعياله، حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفة ونظر وحوطة أو كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة، محافظون معاونون له على وظائف الدين والدنيا، فذلك حين قرة العين، وسكون النفس. وقرة العين: يحتمل أنها من القرار..[٢].

وقال سعيد بن منصور حدثنا جزم: قال: سمعت الحسن وسأله كثير بن زياد عن قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا هَبْ لنا**﴾. فقال: يا أبا سعيد ما هذه القرة الأعين، أفي الدنيا أم في

(١) نفس المصدر (٧ / ٦٢). (٢) تفسير القرطبي (١٣ / ٨٢).

الآخرة، قال: لا بل والله في الدنيا، قال: وما هي؟ قال: والله أن يرىٰ الله العبد من زوجته من أخيه من حميمه طاعة الله، لا والله ما شيء أحب إلىٰ المرء المسلم من أن يرىٰ ولداً أو والداً أو حميماً أو أخاً مطيعاً لله عز وجل.

وذكر الحديث الذي رواه الإمام البخاري رحمه الله من حديث ابن عمر ﷺ: «**كلكم مسؤول عن رعيته**، ...»[١].

وقال في موضع آخر: فسألوه أن يقر أعينهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له سبحانه، وأن يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم علىٰ طاعته، وعبوديته[٢].

وإذا استقرأنا حالهم وصفاتهم، عرفنا من هممهم وعلو مرتبهم، أنهم لا تقر أعينهم حتىٰ يروهم مطيعين لربهم، سالمين عاملين، وهذا كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم في صلاحهم، فإنه دعاء لأنفسهم لأن نفعه يعود عليهم، ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم، فقالوا: ﴿هَبْ لَنَا﴾ بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين، لأن بصلاح من ذكر، يكون سبباً لصلاح كثير ممن يتعلق بهم، وينتفع بهم[٣].

(١) تحفة المودود، ص ١٣٤.
(٢) الروح، صـ ٣٠٧.
(٣) تفسير السعدي، ص ٥٨٧.

من فوائد هذه الفقرة :

١- أن قرة عين النبي ﷺ كانت في الصلاة .

٢- أن قرة عين العبد بذكر ربه وطاعته والتقرب إليه والقرب منه .

٣- أن عباد الرحمن يسألون ربهم أن يقر أعينهم في أهليهم أن يطيعوه .

٤- إذا قرة عين الإنسان بالصالحات فهو دليل الخير .

٥- نحن مطالبون أن نقول بهذا الدعاء : « ونسألك قرة عين لا تنقطع » .

وقال ﷺ : «**وأسألك الرضا بعد القضاء**» .

رضىٰ : يقال : رضي يرضى رضاً . فهو مرضي ومرضو .

ورضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو : أن يره مؤتمراً لأمره ومنتهياً عن نهيه ... والرضوان : الرضا الكثير، ولما كان أعظم الرضا رضا الله تعالىٰ خص لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالىٰ[١] .

وقضى : القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً .

(١) المفردات للراغب، صـ ٢٠٣ .

والقضاء من الله عز وجل من القدر لأنه الفصل بين التقدير. فالقدر هو التقدير.

والقضاء هو: الفضل والقطع. وقد ذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعد للكيل.

والقضاء بمنزلة الكيل: - أفر من قضىٰ الله إلىٰ قدر الله- تنبيهاً أن القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله، فإذا قضىٰ فلا مدافع له. ويشهد لذلك قوله: ﴿وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً﴾ [مريم: من الآية ٢١].

﴿وقُضِيَ الأَمْرُ﴾ [البقرة: من الآية ٢١٠][1].

قال النصر آبادي: من أراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه. فإن هذا الكلام في غاية الحسن، فإنه من لزم ما يرضي الله من امتثال أوامره واجتناب نواهيه لا سيما إذا قام بواجبها ومستحبها، فإن الله يرضىٰ عنه، كما أن من لزم محبوبات الحق أحبه الله.

وذلك أن الرضا نوعان:

أحدهما: الرضا بفعل ما أمر به وترك ما نهىٰ عنه، ويتناول ما أباحه الله من غير نقد إلىٰ المحظور، كما قال

---

(١) نفس المصدر، صـ ٤٠٦-٤٠٧.

سبحانه: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: من الآية ٦٢]. وقال سبحانه: ﴿ولو أَنَّهُمْ رَضُوا ما آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: من الآية ٥٩] وهذا الرضا واجب، ولهذا ذم من تركه فقال: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (٥٨) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٨-٥٩].

النوع الثاني: الرضا بالمصائب: كالفقر والمرض والذل فهذا الرضا مستحب في أحد قولي العلماء. وليس بواجب، وقد قيل: إنه واجب. والصحيح أن الواجب هو: الصبر.

وأما الرضا بالكفر والفسوق والعصيان: فالذي عليه أئمة الدين أنه لا يرضىٰ بذلك، فإن الله لا يرضاه كما قال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ﴾ [الزمر: من الآية ٧]. وقال: ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

فإذا كان الله سبحانه وتعالىٰ، لا يرضىٰ لهم ما عملوه بل يسخطه ذلك، وهو يسخط عليهم، ويغضب عليهم، فكيف يشرع للمؤمن أن يرضىٰ ذلك وألا يسخط ويغضب لما يسخط الله ويغضبه؟!(١).

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٨٣).

قال تعالىٰ: ﴿**وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: من الآية ١٧٣]. ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ**﴾ [التوبة: من الآية ٥٩]، يتضمن بالرضا والتوكل.

والرضا والتوكل يكتنفان المقدور، فالتوكل قبل وقوعه، والرضا بعد وقوعه، ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم بعلمك الغيب** ..» الحديث.

وأما ما يكون قبل القضاء فهو عزم علىٰ الرضا لا حقيقة الرضا، ولهذا كان طائفة من المشائخ يعزمون علىٰ الرضا قبل وقوع البلاء.

والرضا بما أمر الله به، فأصله واجب، وهو من الإيمان كما قال النبي ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا**» [رواه مسلم عن العباس وهو من توابع المحبة].

وأما من قال بالرضا بالقضاء الذي هو وصف وفعله، لا بالمقتضي الذي هو مفعوله، فهو خروج منه عن مقصود الكلام، فإن الكلام ليس في الرضا فيما يقوم بذات الرب - تعالىٰ - من صفاته وأفعاله، وإنما الكلام في الرضا بمفعولاته.

والرضا وإن كان من أعمال القلوب فكماله هو الحمد، حتىٰ أن بعضهم فسر الحمد بالرضا، ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله علىٰ كل حال، وذلك يتضمن الرضا بقضائه. فروي عن النبي ﷺ أنه كان إذا أتاه الأمر يسره قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**»، وإذا أتاه الأمر الذي يسوؤه، قال: «**الحمد لله علىٰ كل حال**»(١).

وفي مسند أحمد عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا قبض ولد العبد، يقول الله .. لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: أقبضتم ثمرة فوائده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول: أبنوا لعبدي بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد**»(٢).

ونبينا محمد ﷺ، هو صاحب لواء الحمد، وأمته هم الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء، والحمد علىٰ الضراء يوجبه مشهدان:

١- علم العبد أن الله مستوجب لذلك مستحق له

---

(١) رواه الترمذي برقم ( ) وابن ماجة برقم (٣٨٠٣).
(٢) الترمذي برقم (١٠٢١) وأحمد (٤ / ٤١٥).